



ثورة المعلومات: هل يأخذها العرب على محمل الجد؟

التقييم: جيد

2009/3/15

تحول استخدام الانترنت إلى فرصة تسعى فيها النخب السياسية إلى إبراز الجانب الحداثي في خطابها وأدواتها للتواصل مع الأجيال الشابة

قبل عشرين عاما لم يكن احد أن يتصور أن يحتل عالم الموقع الالكتروني (Web) المكانة التي حولته مصدرا للمعلومات وميدانا للمناظرات ومسرحا للقاء والتمثيل إلى غير ذلك من الميادين التي تجاوزت السياسة إلى كل فروع المعرفة والأنشطة التي يمارسها البشر أو تؤثر في حياتهم. التطور الذي حصل فيما يعرف بالتصفح على الانترنت أفسح المجال لكل راغب وعارف بالتعامل مع هذا النوع الجديد من الثورات أن يكون جزءا مهما فيها يستفيد من تطوراتها، كما انه يشارك في تطويرها بشكل غير مباشر من خلال الاستخدام المتكرر الذي يفرض حاجة ملحة لتطوير آلية التصفح وكذلك السرعة. التكنولوجيا المرتبطة بثورة المعلومات جاءت للعرب كغيرها من خارج الحدود، ولا شك أن الريبة كانت سيدة الموقف في التعامل الأولي معها، وبما ان الشعور بالتهديد والقلق من كلمة ثورة مهما كانت طبيعتها يسيطران على المشهد العربي فان التصور هو كيف يمكن أن نتعامل مع الخطر الذي تجلبه تلك الثورة، ولم يكن هذا الشعور حكرا على الأنظمة الرسمية بل الدوائر الاجتماعية التي رأت في هذه الثورة تهديدا لنظامها القيمي باعتبار أنها قادمة من وراء الحدود وتحديدا من الغرب، من هنا فان سياسة "الباب الذي تأتيك الريح منه سده واسترح"، فسممة المنع ومن ثم السماح لدوائر ضيقة بالاستخدام حتى وصلنا إلى ما نراه الآن.

لغة الأرقام تتحدث عن نمو جنوني في أعداد مستخدمي الانترنت في العالم كله، فهناك- وفق إحصائيات أواخر عام 2008- حوالي بليون ونصف البليون مستخدم للانترنت في العالم، أي بنسبة حوالي 24% من إجمالي سكان العالم. بالنسبة إلى منطقة الشرق الأوسط التي سيكون التركيز عليها في هذه المقالة؛ ففي أواخر عام 2008 بلغ عدد المستخدمين للانترنت في هذه المنطقة حوالي 46 مليوناً من أصل مجموع السكان 197 مليوناً أي بنسبة مقدارها 23% فقط، هذا الرقم لم يكن يتجاوز 4.5 مليون في عام 2000. ومع ذلك فهي نسبة منخفضة جدا بالنسبة إلى مناطق أخرى سواء على مستوى آسيا أو أوروبا. شيطان التفاصيل يذهب بعيدا ليتحدث عن وجود العرب في وضع لا يحسد عليه إذا ما خذنا بعين الاعتبار مقدار الإنفاق على هذه التكنولوجيا والانفتاح على الغرب. فالدولة العبرية لديها 75% من سكانها من مستخدمي الانترنت أي حوالي 5 ملايين من أصل 7 ملايين. إيران ورغم طبيعة النظام السياسي والقيود المفروضة على الانترنت فإن نسبة المستخدمين تصل اليوم إلى حوالي 24 مليوناً أي بنسبة 34% من مجموع السكان، وهي تقريبا نسبة عدد المستخدمين نفسها في تركيا (حوالي 26 مليون من إجمالي عدد السكان). يشار في هذا السياق إلى أن كلا من تركيا وإيران يحتلان المواقع 13 و17 ضمن قائمة أعلى عشرين دولة من حيث عدد مستخدمي الانترنت.

بالنسبة للدول العربية الشرق أوسطية، تبدو دول الخليج في الصدارة ففي دولة الإمارات العربية المتحدة يصل عدد المستخدمين الى حوالي 50% (حوالي 2.5 مليون)، فيما تأتي قطر في المرتبة الثانية أي حوالي 43% (355 ألف نسمة). لبنان الدولة العربية الثالثة بحوالي مليون وستمائة ألف مستخدم بنسبة حوالي 40% من السكان. ثم البحرين بنسبة 35% من السكان (250.000). الأردن والسعودية يبدوان متقاربين من حيث النسبة، ففي الأردن حوالي 19% من السكان مستخدمين، فيما تبلغ النسبة في السعودية حوالي 23% من السكان أي (6 ملايين). مصر لم تتراوح نسبة المستخدمين 13% من عدد السكان أي حوالي 11 مليون نسمة من مجموع السكان الذي يقارب 80 مليوناً.

الأرقام السابقة لا تتحدث عن طبيعة الاستخدام ولا عن الفئات العمرية التي يكثر فيها الاستخدام، لكن الثابت حتى الآن أن الفئة العمرية بين 15- 45 يتركز فيها العدد الكبير من المستخدمين، كما أن الاستخدامات تتنوع من استخدامات جادة لانجاز الأعمال الجادة إلى التصفح بقصد الترفيه والفضول. المؤكد أيضا أن الحكومات لم تعد قادرة على المضي في سياسة المنع، الأمر الذي يعني تحول ثورة المعلومات من تحد اجتماعي وسياسي للدول العربية إلى أزمة يجري إدارتها بحيث يتم التقليل من الأخطار التي تتصورها الدول والنخب السياسية وكذلك المجتمع، وفي بعض الأحيان تحول استخدام الانترنت إلى فرصة تسعى النخب السياسية إلى إبراز الجانب الحداثي في خطابها وأدواتها للتواصل مع أجيال أصبح التواصل معها بعيدا عن الانترنت فيه نوع من الصعوبة.

mahjoob.zweiri@alghad.jo

محجوب الزويري